الدلالة في نصوص الوحي بين سؤال التجديد ومركزية النص

أ.د. خالد بن محمد آل علي القرني

الأستاذ الدكتور بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الملك خالد -السعودية

الملخص

تناول هذا البحث تحليلَ الدلالة في نصوص الوحي بين مركزيةِ النصِ وسؤالِ التجديد، وقد استدعى ذلك عرضاً لبعض دعاوى التجديد في قراءة نصوص الوحي في الفكر الإسلامي الحداثي، وبيان الموقف منها في ضوء حقيقة المعنى في نصوص الوحي. وانتهى البحث –من جهةٍ– إلى تلخيصِ مطالبِ التيار التجديدي في إعمالِ التاريخية ومناهج الألسنية الحديثة في قراءة نصوص الوحي وتأويلها، ومن جهةٍ أخرى إلى بيانِ أفقِ المعنى في نصوص الوحي، وأنه أفقٌ مطلقٌ وموضوعي؛ ولذا فهو يُبرز دلالتَه إلى المخاطبين به بصورةٍ تكامليةٍ، تَستلهم الواقعَ (الاستعمال العرفي واللغوي والسياق التاريخي)، كما تَستلهم قصديةَ المؤلف، والتي تَبرز في النص ذاته، إمّا نصاً صريحاً أو اجتهاداً عقلياً معتبراً.

الكلمات المفتاحية: الفكر الحداثي، علم الكلام الجديد، الوحي، التأويل، المعنى، النصوص المقدسة، التيار التجديدي، مركزية النص.

The Meaning in Revelation Texts between the Question of Renewal and the Centrality of the Text

Prof. Khalid bin Muhammad Al Ali Al-Qarni.

Professor at Doctrine & Contemporary Ideologies department, King Khalid University, Saudi Arabia

Abstract

This paper addresses the analysis of the meaning in the revelation texts between the centrality of the text and the question of renewal. This required taking apart the claims of renewal in reading the revelation texts, and clarifying the position on them in light of the reality of the meaning in the revelation texts.

The research concluded that, summarizing the demands of the renewal trend in the implementation of historical and modern linguistic methods in reading and interpreting the texts of revelation on one hand, while on the other hand, to clarifying the horizon of meaning in the texts of revelation, and that it is an absolute and objective horizon. Therefore, it reflects its significance to the addressees in an integrative manner that draws inspiration from reality (customary use, linguistic and historical context). Moreover, it is guided by the intention of the author, which emerges in the text itself, either an explicit text or a significant intellectual jurisprudence.

Keywords: modern thought, new theology, revelation, interpretation, meaning, revelation texts.

الحمد لله الرب العليم الحكيم، الذي اختار لهذه الأمة أبلغَ الآيات وأكملَها بياناً، وأوفاها خيرية للدارين، وهداية للثقلين. والصلاة والسلام على أكمل الخلق والمعلمين محمد بن عبد الله النبي الأمين ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعد:

فقد اختار الله ﷻ أن تكون هدايةُ هذه الأمة بإنزالِ القرآن العظيم والسنة الصحيحة التي هي جزء من حفظه تعالى لبيان كتابه إلى يوم الدين. ومنذ عصر النبوة لقي القرآن الكريم مشروعيةَ تفسيره من خلال تفسير النبي ﷺ، ثم اجتهاد أصحابه في عهده ومن بعده. وتوالت العناية بهذا المبحث على أيدي العلماء الذين أسسوا لعددٍ من العلوم الخاصة بفهم القرآن وتقعيد أصول فهمه. وهذا الهمُّ الشريف في ذاته مطلبٌ لا ينفك المسلم –في كل زمان ومكان– عن طلبه، والعمل فيه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ومن جهود العناية بفهم القرآن الكريم تنبثق كثيرٌ من التساؤلات والمطالبات المشروعة في ذاتها لتفسير النص واستنطاق أحكامه وهداياته؛ لتجيب عن عددٍ من المسائل التي تعتري حياتَنا بوصفنا مسلمين؛ ومن هذا المنطلق آثرتُ أن أُحللَ دعاوى التجديد التي تطالب بإعادة قراءة نصوص الوحي لتتلاءم مع مقتضيات هذا العصر، ومقارنتها بأفق المعنى في نصوص الوحي، ومعرفة الموقف الموضوعي منها؛ ولذا كانت **مشكلة البحث** الرئيسة في السؤال عن: هل تقبل الدلالةُ في نصوص الوحي الشريف أطروحاتِ التجديدِ في قراءةِ النصِ الشرعي؟. وقد تفرع عن هذا السؤال المركزي عددٌ من التساؤلات التي تتمثل في:

- ما هي مطالبُ التجديدِ في قراءة النص الشرعي الذي يطرحه الفكر الإسلامي الحديث؟
- ما هي مكانة الألفاظ أو الدوال في نصوص الوحي؟
- ما أوجه تحصيل المعنى في نصوص الوحي؟
- هل يمكن لأصالة النص الشرعي أن تلتقي مع سؤال التجديد الحديث؟

أهداف البحث:

١. تحليل مطالب الاتجاه التجديدي في قراءة نصوص الوحي.
٢. بيان مكانة (الدوال/الألفاظ) في نصوص الوحي.
٣. بيان أوجه تحصيل المعنى في نصوص الوحي.
٤. بيان الموقف من مَطالب الاتجاه التجديدي بناءً على حقيقة المعنى في نصوص الوحي.

المنهج وخطوات البحث: اعتمدت على إعمال **المنهج التحليلي الوصفي**؛ لبيان مطالب الاتجاه التجديدي وأبرز الآراء لدى ممثليه، وتحديد حقيقة الألفاظ في نصوص الوحي وطرق تحصيل الدلالة فيها، **والمنهج النقدي المقارن**؛ لبيان الموقف من مطالب الاتجاه التجديدي في قراءة النص.

كما عملت على:

١. ذكر اسم السورة ورقم الآية بعد الآية مباشرة.
٢. توثيق المادة العلمية من مظانها الأصيلة ما استطعت.
٣. تخريج الأحاديث من مصادرها التي خرجَتْها، وذكر حكم العلماء عليها إن كانت في غير الصحيحين.

الدراسات السابقة: لا شك في أنَّ الدراسات التي اهتمت ببيان حقيقة المناهج التجديدية والمطالب التي يرمي إليها الاتجاه الحداثي –وهو هنا أحد ممثلي الاتجاه التجديدي في هذا البحث– كثيرةٌ جداً. ومنها بعض الدراسات التي تمتُ بصلةٍ –من بعيدٍ– لعنوان هذا البحث، إلا أنها لم تتناول أسئلته المركزية بالتحليل، فضلاً عن اتخاذ المسار المنهجي نفسه الذي اعتمدته، ومن هذه الدراسات: دراسة بعنوان: (القراءات المعاصرة وآليات التجديد في فهم الخطاب القرآني) للباحث: عياد بلمهدي منشورة بمجلة اللغة والاتصال جـ١٣ العدد ٢١ لعام ٢٠١٨م. ودراسة أخرى بعنوان: (القراءة التجديدية للنص الديني في الفكر العلماني: بحث في آليات التأويل وتعددية القراءة في فكر أركون نموذجاً) للباحثة: زهرة الثابت، منشور في مجلة ابن خلدون الإلكترونية وكذا مجلة التجديد العربي العدد الثالث لعام ٢٠٢٢م، ودراسة بعنوان: (التجديد في الفكر الإسلامي، لعدنان إمامة)، ورسالة بعنوان (منهجية التجديد في علم العقيدة دراسة تحليلية نقدية، لأروى أباحسين)، ورسالة (تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر دراسة عقدية– لأحمد اللهيب). وأما فيما يتعلق بجزء الدلالة في نصوص الوحي فهذا يمكن أن ندرج فيه كلَّ اشتغالٍ عامٍ بالتفسير وآليات استخراج المعنى وكل المسائل المتعلقة بالتأويل. ومما له صلة بهذا النوع من الدرس دراسةٌ بعنوان: (تعدد المعنى في القرآن) للباحثة: ألفة يوسف، دار سحر بمنوبة– تونس. ودراسة بعنوان: (تعدد المعنى في النص القرآني دراسة تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي) للباحث: إيهاب سعيد النجمي، بلنسية للنشر والتوزيع–بمصر لعام ٢٠٠٨م.

ودراستي هذه تزيد على ما سبق **أولاً**: بتحليلِ آراءِ اتجاهٍ تجديديٍّ آخر هو: المتمثل في دعاةِ بعضٍ مِن أعلام التجديد الكلامي الحديث. **ثانياً**: بعرضٍ وصفيٍ تحليليٍ لطبيعةِ الدلالة في نصوص الوحي بمكونيها الرئيسين: الدال والمدلول، ثم العمل على عرضِ مطالبِ الاتجاه التجديدي على حقيقةِ الدلالةِ في نصوصِ الوحي ومعرفةِ الموقف منها.

التبويب:

مقدمة: وعرضت فيها مشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، والتبويب.

المبحث الأول: التجديد في قراءة النص الديني.

المبحث الثاني: الدلالة في نصوص الوحي، ويتضمن:

- المطلب الأول: الدوال في نصوص الوحي.
- المطلب الثاني: المعنى في نصوص الوحي.

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التجديد في قراءة النص الديني

وُلِدَ سؤالُ التجديد من رحم إشكالية الإسلام والحداثة الغربية[١]، وما ولَّدتْه تلك الحداثة من ثورةٍ علميةٍ وفلسفية، لا سيما في مجال العلوم الإنسانية، وخاصةً مجال البحث اللغوي؛ حيث بدأَتْ مطالبُ التجديدِ تقوم على الرغبة في مسايرة هذا التقدم الغربي والانفتاح على الآخَر والاستفادة من نتاجه العلمي. وهذه المطالب بدأَتْ مع حركةِ التجديد التي تزعَّمها أحمد خان (١٨٩٨م) ثم محمد عبده (١٩٠٥م) وطه حسين (١٩٧٣م) وأمين الخولي (١٩٦٦م) وغيرهم. وهي مطالبٌ ارتسمتْ معالمُها في دعاوى التيار الحداثي في الفكر العربي، ودعاوى تيار التجديد في علم الكلام. وبغضِّ النظرِ عن نقطةِ البدء في التجديد عند كلا التيارين نجد قضيةَ نصوصِ الوحي وإعادة قراءتها لتحصيلِ فهمٍ معاصرٍ لها -استناداً إلى المناهج الغربية المتمثلة في نظريات النقد الأدبي الحديث ومناهج البحث اللغوي: كالسيميولوجيا[٢]، والهرمنيوطيقا[٣]، والتفكيكية[٤]، والتاريخية[٥] ونحوها- قد شغلت مركزاً محورياً في الرؤية التجديدية.

---

(١) أُطلق مصطلح الحداثة في بداياته على الاتجاه الأدبي الذي نشأ مع الشاعر الفرنسي بودلير، ثم توسع فأصبح يطلق على مجمل التغيرات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي عاشها الغرب منذ القرن ١٥م وحتى القرن ال١٩م. انظر: الحداثة وما بعد الحداثة، محمد سبيلا.

(٢) علم دراسة العلامات/الإشارات اللغوية وغير اللغوية بصورةٍ منظمة، وهو أحد مناهج النقد الأدبي الحديث التي تركز على دلالة الإشارات. انظر: معجم النقد الأدبي، الرويلي والبازعي، ص ١٧٧.

(٣) الهرمنيوطيقا/التأويلية يقصد بها: النظرية أو الاتجاه الذي يُعنى بتفسير النصوص والرموز والأعمال الفنية ومختلف الظواهر الحياتية عامةً، حيث تبحث في أسس هذا الفهم ومساره. انظر: معجم النقد الأدبي، ص٨٨.

(٤) التفكيكية هي إحدى فلسفات ما بعد الحداثة، نشأت على يد الفرنسي جاك دريدا، وهي كما يُعرفها دريدا نفسه: استراتيجية تُقيم في البنية غير المتجانسة للنص لإبراز تناقضاته وتوتراته، أي تبحث في داخل النص عما لم يقله النص نفسه، وتفتح أفق المعنى إلى ما لانهاية. انظر: الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ص٦٠-٦٣، أسس الفكر الفلسفي المعاصر، ص٧٦.

(٥) هي "اتجاه فلسفي يرمي إلى تفسير الأشياء في ضوء مسارها التاريخي". المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٩٩، وانظر: دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندرتش، ١/ ٥٠، ٥١.

والذي يهمنا في هذا المبحث هو: إيجاد الأرضية المناسبة لبناء تصورنا الخاص بمعالجة مشكلة البحث من خلال الوقوف على أهم مطالب التجديد التي يطرحها الحداثيون والمجددون في علم الكلام على نصوص الوحي وألفاظه، لاسيما النص القرآني؛ ولهذا الغرض اخترتُ عدداً من أبرز المفكرين(٦) في هذين المجالين بحسب اشتغالهم بتجديد النص؛ بغية الخلوص من هذا كله إلى تحديدِ ماهيةِ مطالبهم التجديدية لنصوص الوحي الكريم.

وقد قام الفكر الحداثي العربي –عند عددٍ كبيرٍ من أنصاره– بالدعوة إلى ضرورة التجديد في التعامل مع النص الديني، والاستفادة من المناهج الغربية؛ لإعادة قراءته وإنتاج دلالته بما يتلاءم مع ظروف العصر الحديث، ومن ذلك: التاريخية التي تقدم بها الجزائري محمد أركون (٢٠١٠) باعتبارها منهجاً لإعادة قراءة التراث الإسلامي، وبالتالي نصوص الوحي بوصفها جزءاً من هذا التراث. فيرى أركون "أن هذا الخطاب الإسلامي إذ حشر (أو حصر) كلَّ نماذج التاريخ الأرضي الدنيوي في الزمن القصير للوحي (زمن التجربة التأسيسية)؛ فإنَّه قد حرَمَ نفسه مِن مفهومٍ أساسيٍ بالنسبة للتحليلِ النقدي الخاص بالمعرفة الأسطورية والمعرفة العقلانية على السواء. أقصد بذلك مفهوم التاريخية، أو الشروط الاجتماعية والسياسية والثقافية لاستخدام الأسطورة والتقديس والتعالي"(٧) . وأركون هنا يرى أنَّ مهمتَه –تجاه الوحي– هي إعمالُ هذه المنهجية المهجورة، أو كما يسميها "المستحيل اللامفكر فيه" في الفكر الإسلامي، ومحاولة تطبيقها على "النصوص المقدسة"، بوصف "الوحي" مفهوماً قد "بُسط وضُيق، وحُط من قدره، ثم أخيراً هُجر من قِبلِ العقلِ العلمي المستنير، وتُرك لمُسَيّري أمور التقديس، أي: لرجال الدين"(٨) الذين أسهموا في تقديمه كنصٍ متعالٍ ومرتبطٍ بأصولِ اللسان الذي نزل به. وأركون حين يعارض هذه الدلالة الثابتة يقرر أنَّ الوحي تَشَكّل في السياق الزمني، وهذا يَظهر في تفريقه بين القرآن والمصحف؛ "منطلِقاً في ذلك من مسَلَّمةٍ تاريخيةٍ مفادها أنَّ النصوصَ المقدسة خطابٌ شفهي ابتداءً، ثم تحولتْ –بعد فترةٍ معينةٍ– إلى كتابٍ صار مقدساً من قِبل أصحابه الذين دونوه. ولا يشذ القرآن عن هذا الوضع، فهو كغيره من النصوص المقدسة، لم يُسجَّل في كتابٍ إلا بعد وفاة النبي ﷺ بسنوات، أي خلال عهد عثمان رضي الله عنه، وبعبارةٍ مختصرةٍ فإنَّ القرآن لم يَستقر في صيغته النهائية إلا في القرن الرابع الهجري"(٩) . وبصرف النظر عن عدمِ صحةِ هذه الدعوى، إلا أنَّ الذي يهمنا في هذا المقام هو إبرازُ التاريخيةِ لدى أركون، ومدى الاعتناء بالتشَكُّل الزماني –كما يسميه– للقرآن الكريم. وتظهر زمانية الوحي أيضاً لدى أركون في

(٦) انظر –على سبيل المثال– للوقوف على أطروحات عدد من المفكرين الآخرين: حنفي، حسن، تأويل الظاهريات. بلعقروز، عبد الرزاق، فلسفة الدين المفاهيم والإشكاليات، ص٨٩ وما بعدها. سنغاري، يوسف، القرآن والتاريخانية، حرب، علي، نقد النص.

(٧) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ص٦٨.

(٨) القرآن التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ص٢٧.

(٩) السقوط الحداثي، محمد علواش، ص ١٠٤.

استناد بعض آيات القرآن إلى أسبابِ نزولٍ خاصةٍ بها، الأمر الذي يعني -عنده- أنَّ الوحي ينفعل بالأحداث والوقائع التاريخية المحيطة به؛ "ولذلك جاء النص منجَّماً وفق الأحداث والمناسبات البشرية الواقعية واستجابةً لها،... وقد ترتب على ذلك أنَّ النص القرآني -وإن كان ذا أصولٍ إلهية مطلقة- فإنَّه يُمثِّل خطاباً نسبياً، موجهاً للبشرِ"[١٠] في زمانيةٍ معَيَّنةٍ ولأسبابٍ مخصوصة. وتفعيل هذه المنهجية التاريخية في قراءة القرآن تُفضي -لدى أركون- إلى القبول بتطبيق عددٍ من الأساليب المنهجية والمعارف الأبستمولوجية المعاصرة على النص القرآني[١١]، من ذلك تفعيل البحث الأركولوجي لقراءة الفترة التأسيسية للقرآن، وإلى جانب ذلك: القبول بالجانب البنيوي والعلاماتي للغة العربية التي هي لغة القرآن؛ "فإنَّ اللجوءَ إلى الألسنيات والسيميولوجيا أمرٌ لابد منه؛ من أجل جعل الروابط مفهومةً بين الدين والتاريخية"[١٢] ؛ فاحتكام اللغة إلى الجانب البنيوي والعلاماتي يؤكد اعتباطية الدلالة ونسبيتها، وهذا تجلٍّ للتاريخية في المجال اللغوي، والوحي بوصفه نصاً لُغوياً يَخضع لهذا التقرير النسبي في دلالته. وباختصارٍ فإنَّ أركون ينتهي -في قراءتنا لفكره- إلى النسبية في دلالة نصوص الوحي من خلالِ إعمالِ المناهج اللغوية الحديثة. وهكذا تقوم القراءة التجديدية لنصوص الوحي عنده على الدعوة إلى إعمالِ السياق التاريخي، والبدء بقراءة الوحي استناداً إلى السياق الظرفي المتكون فيه؛ وهذا الأمر جعل أركون ينظر إلى نصوصِ الوحي بوصفها وثائقَ تاريخية، تحكي مخيالاً فكرياً بات مسيطراً على الفكر الإسلامي؛ ولذا -برأيه- يمكن قراءتها وفق مناهج النقد الحديثة، وتفكيك مفهوم التعالي والقدسية المضفَى عليها. والمحصلة التي نجدها عند أركون ليست محاولة فهم النص من خلال سبب النزول، وإنما استثمار سببِ النزول للوصول إلى نسبيةِ المعنى في الوحي من جهةٍ، ودخول الزمان والمكان مع النص في كلٍّ مركَّبٍ لاستحداثِ المعاني وتجديدها من جهةٍ أخرى.

إلى جانب هذا طَرَحَ المصريُّ نصر أبو زيد (٢٠١٠) التأويليةَ كمنهجٍ لقراءة نصوص الوحي[١٣]، حيث كان مستندُه في اختيار هذا المنهج وتبنيه -لإيجادِ قراءةٍ تجديديةٍ للنصِّ الديني- هو نقده للقراءة التفسيرية القائمة في التراث الإسلامي، حيث يرى أبو زيد أنه "لا بد من إنجازِ وعيٍ علميٍ بالتراث، يضعه في سياقه التاريخي"[١٤] الذي بدأ -في رأيه- مع مرحلةِ إدماج السنة في الدِّينِ المقدَّس، حتى وصل إلى مرحلة التّقَيُّد بالنصوصِ والعمل على توليدها من خلال الشروح على المتون ونحو ذلك، وإقصاء دور العقلِ وحصره في مجال القياس والاستنباط؛ حتى أصبح التراثُ بمثابة الهوية المفسرة للإسلام والتي تتسم

(١٠) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(١١) انظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ١٢١ وما بعد.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٢١.

(١٣) انظر: القراءة التأويلية لدى نصر حامد أبو زيد، خالد القرني.

(١٤) النص، السلطة، الحقيقة، نصر حامد أبو زيد، ص ١٤.

بالثبات والديمومة[١٥]؛ ولذا أشار أبو زيد إلى ضرورةِ وجودِ علاقةٍ جدليةٍ تربطنا بالتراث القديم، تتسم بنزعِ القداسةِ عنه، والتعامل معه بوصفه منْتَجاً ثقافياً ذا زمانيةٍ معيَّنة؛ لنتمكن من الإفادة المشروطة براهنية عصرنا وظروفنا الاجتماعية والثقافية.

وتبني نصر التأويليةِ -بوصفها منهجاً تجديدياً- يقوم على رؤيتِه الخاصة لحقيقةِ النصِ الديني، أي مفهومه الخاص للوحي، وكيفية تفسيره لغةً وتاريخاً. وهو في ذلك ينطلق من إسهام (السيمياء/علم العلامات) الغربي الذي يقرر عدمَ وجودِ المعنى المتحصل من الألفاظ بالذات؛ لاستنتاج أنَّ الدلالة ليست مُنجَزاً قاراً موجوداً بشكلٍ ثابتٍ ومسبق؛ فإنه مع "التصور الذي صاغه دي سوسير أُنْهِيَ وإلى الأبد التصورُ الكلاسيكي عن علاقة اللغة بالعالَم بوصفها تعبيراً مباشراً عن هذا العالم. لقد صارت العلاقةُ بين اللغة والعالَم محكومةً بأفقِ المفاهيم والتصورات الذهنيةِ الثقافية. إنها لا تُعبر عن العالم الخارجي الموضوعي القائم، لأنَّ مثل هذا العالم -إن كان له وجودٌ- يعادُ إنتاجه في مجالِ التصورات والمفاهيم"[١٦] ، بحيث ترتبط "الدلالة اللغوية بغيرها من أنواع الدلالات الوجودية... وفي نفس الوقت ارتباطها بالإطار المعرفي العام"[١٧] الذي وُجِدَتْ فيه.

لقد حاول أبو زيد تتبع ذلك والاستدلال عليه من خلال قراءة التراث الإسلامي المتعدد، وانتهى من ذلك إلى أنَّ العلامةَ -بمدلولها الفلسفي السيميائي هذا- هي المرادف لمصطلح الدلالة في التراث الإسلامي[١٨]؛ ومن هذا المنطلق ينظر أبو زيد للوحي وفقَ دلالته اللغوية، أي: أنَّه ينظر للوحي بوصفه دالاً لغوياً ذا بُعدٍ علاماتي يمكن أن يتغير مدلوله وفق السياق الثقافي/التاريخي، فـ"في مثل هذا الفهم لا يكون النصُ اللغوي في حالة ثباتٍ مادام المدلول في حالةِ تغيُّرٍ دائمٍ وخَلقٍ جديد، يستوي في ذلك النص اللغوي العادي والنص القرآني الدال -بحكم مصدره- على حركةِ الوجودِ الدائبة"[١٩] ؛ ذلك أنَّ "القرآن يصف نفسَه بأنَّه رسالة، والرسالة تمثل علاقةَ اتصالٍ بين مرسِلٍ ومستقبِلٍ، من خلال شفرة أو نظامٍ لغوي. ولما كان المرسِل -في حالة القرآن- لا يمكن أن يكون موضعاً للدرس العلمي؛ فمن الطبيعي أن يكون المدخلُ العلميُّ لدرسِ النصِ القرآني مَدخلَ الواقع والثقافة"[٢٠]

وفي تطبيق الواقع التاريخي -لقراءةِ نصوصِ الوحي- يذهب أبو زيد إلى أنَّ نشأةَ النصِ أو شكله وتشكله يبدأ متأثراً بالمتلقي الأول -وهو النبي ﷺ- ومراعاة واقعه وهمومه، ثم مراعاة واقعِ المخاطَبين به والتفاعل

(١٥)انظر: المرجع السابق، ص ١٣-٢٠.

(١٦) النص، السلطة، الحقيقة، ص ٨٠، وانظر في الكتاب نفسه، ص ٨٣.

(١٧)إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ص ١١٦.

(١٨)انظر: المرجع السابق، ص ٥٣ وما بعد.

(١٩) المرجع السابق ، ص ١٠١.

(٢٠)مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص٢٤.

معهم[٢١]؛ وعندئذٍ "تنبع مصداقيةُ النص من دوره في الثقافة؛ فما ترفضه الثقافة وتنفيه لا يقع في دائرة النصوص، وما تتلقاه الثقافة بوصفه نصاً دالاً فهو كذلك. وقد يختلف اتجاه الثقافة في اختيار النصوص مِن مرحلةٍ تاريخيةٍ إلى مرحلةٍ تاريخيةٍ أخرى"[٢٢] . وما يقصد إليه أبو زيد هنا هو سيولة الدلالة؛ نتيجةً لكون نصوصِ الوحي منطوقاتٍ لغويةٍ علاماتيةٍ من جهة، ومن جهة أخرى يرى أنها مرتبطةٌ بالمخاطَبين بها وبظروفهم المكانية والزمانية؛ ولذا لا يمكن -عنده- الإقرارُ بوجودِ معنى للوحي متجاوز وموضوعي بناءً على نسبية الدلالة. والمحصلة التي تنتهي إليها رؤيةُ نصر هي: استبعاد النظر إلى إلهية المصدر، والتركيز على الجانب البشري من الوحي -كما يسميه- والمتمثل في بشرية الرسول ﷺ والمعاصرين للنزول، الأمر الذي يَفتح المجالَ أمام القراءات المتعددة؛ لكون التاريخ بات هو الركن الأساس في فهمنا لمعاني نصوصِ الوحي.

وإذا ما انتقلنا إلى المشتغلين بتجديدِ النصِ مِن دعاةِ التجديد في علم الكلام الجديد نجد المفكرَ الإيراني عبد الكريم سروش أبرزهم، فيما عُرف عنده بنظرية القبض والبسط في الشريعة الإسلامية، والتي يقررُ فيها أنَّ المعرفةَ الدينية غيرُ الدين المنزل، فالمعرفة الدينية هي فهمنا للمتون والنصوص الدينية، ويمتاز هذا الفهم -عنده- بأنه متعددٌ ومتنوعٌ وسيال؛ والسبب في ذلك راجعٌ إلى حقيقةِ (الدين/النص الديني) التي تتمثل -مع كونه مقدساً- في أنَّه صامتٌ في ذاته، ودلالتُه تظهر بمقدار استنطاقنا لهذا النص، وإعمالِ قابلياتنا وتوقعاتنا من النص، والتي تأتي من خارجه، متأثرةً بظروفنا الزمانية والمكانية[٢٣] ، أي أنْ ننظرَ للدين على نحوٍ تاريخي متصلٍ بالمجتمع الذي وُجِد فيه"[٢٤] . ويصر سروش -في توصيفه- على تداخل النص ذاته مع الفهم بصورةٍ تشير إلى تطابقِ "الدين" مع "الفهم الديني"، وتصوير هذا الأخير على أنَّه دينُ الإسلام، مؤكداً أنَّ: "علم الدين أو المعرفة الدينية صُنعت من قِبلِ المفسرين، على اختلافهم طيلة تاريخ الإسلام. ودين الإسلام ليس شيئاً سوى المعرفة الدينية"[٢٥] . إنَّ هذا الترادف الذي يجعل (الدين/النص) هو (فهم الدين) ما هو إلا النتيجة الناجمة عن إعمال سروش لمنهج التاريخية في توصيف النبوة والوحي على حدٍ سواء، وهو ما اصطلح على تسميته بـ"بسط التجربة النبوية"؛ "فإنَّ مصبَ الكلام فيها يدور حول تحليل ظاهرة الوحي نفسها، وكيفية تكَوُّن النصِ؛ لأنَّ كيفية ظهور النص تؤثر في كيفية اقتباسنا المعاني المستقاة من النص"[٢٦] . وحقيقة النبوة لدى سروش -الناتجة من تحليله

(٢١)ولقد أكد أبو زيد تاريخية القرآن من خلال تأكيد تأثر الدلالة بأسباب النزول ونحوها. انظر: مفهوم النص، ص ٩٧ وما بعد.

(٢٢)مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص ٢٧.

(٢٣)انظر: الصراطات المستقيمة، عبد الكريم سروش، ص ١٢، ١٣.

(٢٤) علم الكلام الجديد بين دعوى التجديد والعلمانية، خالد القرني، ص٤٣٥.

(٢٥)الصراطات المستقيمة، ص ١٦٠.

(٢٦)بسط التجربة النبوية، عبد الكريم سروش، ص ١٢٥.

هذا- هي أنها مجردُ تجربةٍ تبدأ من استجلاب النبي لها، وتَرقيه في مراتب الكمال والكشف؛ ليصل إلى مرحلةٍ يصبح هو الفاعل في الوحي، فـ"ليس النبي تابعاً لجبرائيل، بل جبرائيل تابع له، فهو الذي يُنزل الملك، ومتى أراد أنْ يرحل عنه تحقق ذلك"[٢٧]. والوحي نتيجةً لهذا "الإلهام والحالة الكشفية التي يحياها النبي -لاستجلاب الوحي بما أنه فاعلٌ فيها- يأخذ شكلاً واقعياً، يتأثر بكامل شخصية النبي وحياته ومحيطه الاجتماعي والثقافي؛ فيأخذ لغةَ النبي، ويتأثر بواقعِ زمنه وحوادثه، وبالمعرفة السائدة في عصره" [٢٨]، أي أنَّ تجربةَ النبوة وناتجها -وهو الوحي هنا- تاريخي؛ ولذا كان يمكن للوحي أنْ يَلقى مزيداً من البسط والزيادة لو تقرر أن يعيش الرسول ﷺ أكثر من عمره، والعكس أيضاً صحيح، فالتاريخية -عند إعمالها في نصوص الوحي- تشير إلى أنَّ وجود القرآن "ومجيئه إلى عالم الطبيعة يرتدي لباسَ حالةٍ تاريخيةٍ معيَّنة، ويمتد بجذوره وعروقه إلى زمان نزوله، سواءً في ذاتياته أو عرضياته"[٢٩] ، أي: أنَّه يرتدي تاريخيةَ ظروفِ النبي وهمومِه، وتاريخيةِ مفرداته ومفاهيم لسانه؛ "فالنبي يجد نفسَه مضطراً لاستخدام هذه المفاهيم وتلك القوالب المتداولة في ثقافة عصره"[٣٠] ، وهذا الأخير يستلزم -لدى سروش- أنْ ننظرَ إلى نصوصِ الوحي بصورةٍ علاماتيةٍ رمزية، ولا نجمد أمام حرفيةِ هذا النص؛ فـ"الكلام الإلهي ذو بطونٍ؛ بحيث إننا إذا كشفنا الطبقة أو القشرة الأولى في معنى النص لظهرت لنا طبقةٌ أخرى من المعنى"[٣١] ، وهذا المعنى بدوره هو معنى نسبيٌّ سيَّال؛ لأنه ليس (الدين/النص الصامت) وإنما (المعرفة الدينية التاريخية) التي لا يمكن لها أن تتجنب إعمالَ الواقعِ والظرفية الزمانية بمختلف علومها وتطورها عند إرادة تفسير الدين[٣٢]. وهكذا إذن نجد سروش يقارب الطرح الحداثي -وإن كان من باب تجديد علم الكلام- في إعمال التاريخية والمناهج الألسنية الحديثة؛ لتجديد النظر لقضايا العقيدة الكبرى، وعلى رأسها النبوة والوحي، بما لا يتوقف عند الاستعمال اللغوي الأول، ولا تفسير المتقدمين، وكذا كل ما انعقد عليه إجماع القرون الأولى.

وإلى جانب سروش أقام محمد الشبستري دعوتَه في ضرورة إعمال الهرمانيوطيقا في قراءة/تفسير نصوصِ الوحي؛ استناداً إلى ذات النظرة التاريخية لحقيقةِ النبوةِ والوحي، فـ"ما مِن شك -يقول- بأن كلام الله ظهر على صورة كلام الإنسان، أي على لسانه وبمنطقه، وفي أفق فهمه، وفي الظرف الزماني والمكاني للإنسان، وفي حدود ثقافته، ولو لم يظهر كلام الله في إطارِ الزمانِ والمكانِ وفي بيئةِ الإنسانِ وأفقِ إدراكه لَما كان كلاماً"[٣٣] ؛ فلِأَنَّ الوحي خوطب به المكلفون بلغتهم المشتملة على مفاهيمهم ومفرداتهم؛

(٢٧)المرجع السابق، ص ٢١.

(٢٨)علم الكلام الجديد بين دعوى التجديد والعلمانية، ص ٤٤٨.

(٢٩)بسط التجربة النبوية، ص ١٦٧.

(٣٠)المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٣١)الصراطات المستقيمة، ص ١٣.

(٣٢)انظر: المرجع السابق، ص١٥٨.

(٣٣)مدخل إلى علم الكلام الجديد، محمد الشبستري، ص١٤٦.

تصبح الحقيقة أنَّ ما وصل إلينا ليس الوحي ذاته، وإنما هرمانيوطيقا/تفسير النبي لهذا الوحي، "فحقيقة ما يسميه المسلمون الوحي/القرآن الكريم لا يُعد -بحسب طرح شبستري- كلاماً إلهياً، بل مجرد مُعَرّفٍ لتجربةِ النبي ﷺ الدينية، وهذه المعرفة -نظراً لأنَّ النبي بشرٌ- ليست مطلقةً، بل لا يمكن أنْ تحتوي حقيقةً من حقائق الدين، أو حتى معنىً لمقولاته"[٣٤] ؛ لأنَّ اللغة البشرية قاصرةٌ بطبيعتها عن أن تُعبّر عن (المعاني الأولية/كلام الله ذاته)، وعندئذ تصبح نصوصُ الوحي نصوصاً تاريخيةً وهرمانيوطيقا لتجربة النبي، فـ"في مجالِ فهمِ الدين فالحقيقية أنَّ الدين الإسلامي ظهر في مقطعٍ خاصٍ من التاريخ في جزيرة العرب بواسطة نبي الإسلام ﷺ، ومن هذه الجهة فالدين الإسلامي هو ظاهرةٌ تاريخية، وظهور نبي الإسلام هو ظاهرةٌ تاريخيةٌ أيضاً، وكتابُه ظاهرةٌ تاريخية؛ إذن ففهم الإسلام عبارةٌ عن فهمِ ظاهرةٍ تاريخية، وعندما يتلى القرآن على مخاطبيه أو يتحدث نبي الإسلام مع المسلمين فإنَّ المخاطَبين في ذلك العصر كانوا يملكون قبلياتٍ وتصوراتٍ خاصةٍ عن الله والنبوة...، وبالتالي يفهمون هذه الظاهرة التاريخية وهذا الكلام بتلك الأدواتِ"[٣٥] التاريخيةِ أيضاً. وعن هذه الرؤيةِ التاريخيةِ ينبثق التأويلُ الهرمانيوطيقي الذي يستلزم تواصلَ المخاطبِ مع ذات النص، وتحقيقَ تجربتِه التفسيريةِ الخاصةِ به، لكن هذا التواصل -من قِبل المخاطَب- مشروطٌ بقبلياته ومعارفه المتولدة عن ظروفِه التاريخية المعاصرة. والشبستري هنا -كسروش- يُصِرُّ على استحالة التفسير بدون استحضار قبلياتنا وتاريخية ظروفنا المعرفية واللغوية، وتأثيرها في فهمنا للنص؛ فـ"فهم النصوص لا يمكن ولا يتيسر بدون استخدامِ سلسلةٍ من القبليات والمقبولات الموجودة لدى العقل مسبقاً" [٣٦]، وتأكيد هذا هو القاعدة الكلية التي يجب أن ينطلق منها المجدد للخطاب الكلامي، وهي معرفةُ المناهجِ والمعارفِ المعاصرةِ وإعمالُها لدراسةِ النص الديني والعقائد الدينية.

ومما سبق عرضه من آراء أبرزِ ممثلي الاتجاه التجديدي من الحداثيين أو المتكلمين الجدد؛ نخلص إلى أنَّ مطالبَ التجديدين تتلخص في: الدعوة إلى إعمال التاريخية التي تقوم على "شيئين أساسيين، أولهما: أنَّ دعاتها يرون أنه من الضروري ربط المعارف والحقائق والأحداث بواقعها الذي ظهرت فيه بظروفٍ تاريخيةٍ محددة، والثاني: ضرورة النظر إليها بمنظارٍ حديثٍ وإخضاعها للظروفِ والآفاقِ الجديدةِ" [٣٧]بواسطةِ التأويل. ويبرز المطلب الثاني في: إعمال المناهج النقدية الحديثة في مجال اللسانيات[٣٨]؛ وتأكيد نسبيةِ الدلالة من خلالها، وانفتاحِ بابِ التأويلِ أيضاً من خلال إعمال الهرمانيوطيقا بوصفها

(٣٤)علم الكلام الجديد بين دعوى التجديد والعلمانية، ص٤٤٩، ٤٥٠.

(٣٥) هرمانيوطيقا القرآن والسنة، محمد الشبستري، ص٣٠٥.

(٣٦) المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٣٧) مفهوم النص وقراءته في الفكر العربي المعاصر، محمد باديس، ص ٦٩.

(٣٨) أي: "الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري... بهدف اكتشاف المميزات العامة والمشتركة بظاهرة اللسان البشري من خلال دراسة اللغات الطبيعية المختلفة بين بني البشر". مبادئ في اللسانيات العامة، خولة الإبراهيمي، ص٩.

منهجًا لإعادةِ قراءةِ نصوصِ الوحي[٣٩]. وبهذا لعلنا أسهمنا في الإجابة عن السؤال الأول، المتعلق بحقيقة مطالب التجديد المعاصرة في التعامل مع نصوص الوحي وآليات إنتاج المعنى لديه. وهنا يتعين علينا الإجابة عن السؤال المتمثل في طبيعة الدلالة في نصوص الوحي، وأسس استنباط المعنى منها، ومقارنة ذلك بما انتهت إليه مطالب التجديد المعاصرة، **وهذا ما سيجيبنا عنه المبحث القادم إن شاء الله تعالى.**

المبحث الثاني: الدلالة في نصوص الوحي

إنَّ عَرْضَ مطالبِ التجديدِ واتخاذَ موقفٍ سليمٍ وموضوعيٍ منها يبدأ مِن النظرِ إلى حقيقة المعنى، وعلاقته بالألفاظ في نصوص الوحي ذاتها، وكيفية تعامُل العلماء معها. وهذا المبحث يقصد **أولاً** إلى هذا العَرَض، **ثُم** مقارنة نتائجه مع مطالب التجديد، وبيان الموقف منها بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: الدوال في نصوص الوحي.

تقوم أولى محددات الدال في نصوص الوحي (الكتاب والسنة الصحيحة) في كونه نصاً، أي: أنه دالٌّ لغويٌ منطوقٌ ومكتوب، يتسم بتعالي مصدره وقدسيته. فأصل لفظة القرآن "مصدرٌ على وزن فُعلان (بالضم) كالغُفران والشُكران والتُكلان. تقول قرأته قراءً وقرآنا بمعنى واحد، أي تلوته تلاوة"[٤٠] ، وهو اصطلاحاً وشرعاً: "كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً"[٤١] ، و"هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين: كلام الله...، ليس هو كلاماً لغيره، لا لفظه ولا معناه، ولكنْ بلَّغه عن الله جبريلُ، وبلَّغه محمدٌ رسول الله ﷺ عن جبريل، ولهذا أضافه الله إلى كلٍّ من الرسولين، لأنَّه بلَّغه وأدَّاه، لا لأنه أحدث لا لفظه ولا معناه"[٤٢] . وقد جاء التعبير عن هذا المحدد صريحاً كما في قوله ﷻ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾[ص: ١]، وقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٦- ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣-٤]،

---

(٣٩) لا يتسع المقام هنا للتفصيل في نقد هذه المناهج وبيان الموقف منها، لكنَّ ما نريد قوله هنا هو: أن إعمال المناهج الحديثة والاستفادة منها لا يُعد خطأ على جهة الإطلاق، وإنما الإشارة إلى أن الخطأ في إعمالها قد ينشأ من خلال الفهم الخاطئ لتلك المناهج الفلسفية، أو من جهة الموضوع المطبق عليه هذا المنهج أو ذاك لأسبابٍ عائدةٍ إلى طبيعةِ الموضوع نفسه. وفي مجال النقد المفصل لهذه المناهج بإمكان القارئ الكريم الرجوع لبحث: الأسس الفلسفية للهرمانيوطيقا في الفكر الغربي الحديث دراسة تحليلية نقدية، خالد القرني، مجلة جامعة القصيم ج١٤ العدد ١، ١٤٤٢هـ. وغيرها من الأبحاث التي تناولت هذه المناهج بالنقد.

(٤٠)النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص ١٢.

(٤١)شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ج: ١، ص ١٧٢.

(٤٢)درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج:١، ص ٢٥٨.

وقال تعالى:﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، وقال ﷺ: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه...(الحديث)" [٤٣] ، فـ"روعي في تسميته قرآنا كونه متلوّاً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه"[٤٤]

ويبرز المحدد الآخر لألفاظ الوحي في كونها نزلتْ بلغة العرب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[يوسف:٢]؛ وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٩]. وتوافُر هذه الآيات الشريفة على تأكيد (اللسان/اللغة) التي نزل بها الوحي يدل على مكانة هذا اللسان بوصفه معياراً مهمًا لفهم أصل الألفاظ في الوحي، وفي فهم أوجه تحصيلِ معناها كما سيتبين معنا لاحقاً بإذن الله تعالى. وتبرز العلاقة بين اللغة العربية ونصوص الوحي: في كون اللغة العربية أصلاً لنصوص الوحي، وهذا ما يمكننا أن نعبر عنه بمكانة اللغة العربية بالنسبة للنصوص المقدسة، فاللغة العربية تمثل طبيعة الألفاظ وحقيقة المنطوق، وهي لذلك مُعتبَرَةٌ في النطق والتلفظ بالوحي، ومُعتبَرَةٌ في فهم دلالته أيضاً؛ ولهذا أشار الله تعالى لذلك بقوله: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾[النحل: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾[الشورى:٧] ونحوها. وهذا الاعتبار -كما هو متعلق بالقرآن- متعلقٌ أيضاً بالخبر الصحيح عن النبي ﷺ، وفي هذا يقول ابن حزم -رحمه الله-: "وحكم الخبر عن النبي ﷺ أن يورَد بنصِ لفظِه، لا يُبدَّل ولا يغيَّر إلا في حالٍ واحدةٍ وهي: أنْ يكون المرءُ قد تثبت فيه، وعرف معناه يقينا؛ فيُسأل فيفتي بمعناه وموجبه، أو يناظر فيحتج بمعناه وموجبه، فيقول: حَكَم رسول الله ﷺ بكذا، وأمر عليه السلام بكذا، وأباح عليه السلام كذا، ونهى عن كذا، وحرم كذا، [...] وأما مَن حدّث وأسند القول إلى النبي ﷺ وقصد التبليغ لما بلغه عن النبي ﷺ، فلا يحل له إلا أن يتحرى الألفاظ كما سمعها، لا يبدِّل حرفاً مكان آخر، وإن كان معناهما واحداً، ولا يُقدّم حرفاً، ولا يؤخر آخر، وكذلك من قصد تلاوة آية أو تعلُّمها وتعليمها ولا فرق"[٤٥] ؛ وهنا يتعين "على كلِّ مسلمٍ أنْ يتعلمَ من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمِر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك" [٤٦].

(٤٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٨/٤١٠ (١٧١٧٤)، وأبو داود في السنن، ٤/٢٠٠ (٤٦٠٤) وقال: "صحيح".

(٤٤) النبأ العظيم، ص ١٢.

(٤٥) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن حزم، ج: ٢، ص٨٦.

(٤٦) تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ج:٢، ص ١٠١٨.

ويظهر أثر هذا المحدد الثاني لألفاظ نصوص الوحي ابتداءً من اللفظة ذاتها؛ حيث تُمثل اللغةُ العربية أصلَ اشتقاقها وطبيعة نطقها وكتابتها واستعمالاتها، أي أن اللفظة في الوحي أتتْ مستندةً إلى أصولِ الألفاظ في اللغة العربية ذاتها التي تتمثل في: الصوت والمعجم.

الأصل الأول: الصوت، ونعني به هنا: وحدة الأصل اللغوي لألفاظ الوحي، بمعنى أننا نجد اللفظة في الوحي مركبة من الصوت اللغوي العربي؛ لأنَّ اللغة في حقيقتها أصواتٌ يُشَكّل تألفُها وتركيبُها مفرداتِ تلك اللغة. ومعرفة هذا تُبين لنا دورَ اللغة العربية في رسم وتشكيل ألفاظ الوحي ابتداءً، فالأصل في رسم الآيات في المصحف الشريف أنَّه يأتي وفقاً لمنطق الحروف في العربية(٤٧)؛ إلا أنَّ القرآن الكريم –وهو كلام الله العليم– يأتي بذلك على أبلغِ صورةٍ في البيان والإعجاز اللغوي، وهذا يَظهر إمّا بالزيادة في رسم الكلمة أو الحذف، أو حتى في اختيارِ كلمةٍ دون غيرها؛ لتحقيقها المقصد المراد واسترعاء انتباه العقل والفطرة السليمة إلى هذا المعنى، "وذلك بحسب ما يكتنف الكلمة من أصواتٍ أو لتحقيقِ معانٍ مقصودة في شكلها"(٤٨) . وفي هذا يقول ابن جني –رحمه الله–: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فبابٌ عظيمٌ واسع، ونهجٌ متلئب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمتِ الأحداث المعبَّر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره...، ومن ذلك قولهم: قرت الدم وقرد الشيء وتقرط وتقرد وقرط يقرط، فالتاء أخف الثلاثة، فاستعملوها في الدم إذا جف؛ لأنه قصد ومستخف في الحس عن القردد الذي هو النباك في الأرض ونحوها. وجعلوا الطاء –وهي أعلى الثلاثة صوتا– "للقرط" الذي يسمع، وقرد من القرد، وذلك لأنه موصوف بالقلة والذلة، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقرة:٦٥]"(٤٩) ؛ ولذا جاءت الإشارة الإلهية إلى وجوب التأني في قراءة القرآن بصورةٍ صحيحةٍ والإنصات أثناء سماعه وتدبر آياته، فقد قال جل جلاله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[الأعراف:٢٠٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل:٤]. كما أنَّ هذا الأصل يمكننا من رد ألفاظ الوحي إلى أصولها الاشتقاقية الأولية في اللغة كما فعل ابن فارس –رحمه الله– في معجمه مقاييس اللغة، ومن ذلك قوله في: "(أدم) الهمزة والدال والميم أصلٌ واحد، وهو الموافقة والملاءمة، وذلك قول النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة – وخطب

(٤٧)انظر في هذا: كتاب رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري.

(٤٨)أثر الصوت في رسم الكلمة نظرة تعليلية في ضوء المصحف، عبد الوهاب الكحلة، العدد٦٥ ص ١.

(٤٩)الخصائص، لابن جني، ج:٢، ص ١٥٩، ١٦٠. وانظر مثلاً: (معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف، ورسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري، ودلالات الألفاظ القرآنية: الدلالة الصوتية، عبد الحميد هنداوي، هنداوي. مركز تفسير الدراسات القرآنية).

المرأة -: «لو نظرت إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»(٥٠). قال الكسائي: يؤدم يعني: أن يكون بينهما المحبة والاتفاق، يُقال: أدم يأدم أدم (٥١) ، وغير هذا كثير مبسوط في كتب اللغة.

وإلى جانب هذا فإنَّ الصوتَ اللغوي لألفاظ الوحي له أثره الدلالي في السياق، والذي يبرز **أولاً**: في مواضع (الوقف/الفاصلة) التي هي جرسٌ يَحمل معانٍ تُخاطِب أفهامَ المكلفين، وقد وصفه الزركشي -رحمه الله- بقوله: "معرفة الوقف والابتداء فنٌ جليل، وبه يُعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمَن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات"(٥٢) . والمراعاة لأهمية الوقف في نصوص الوحي ظاهرة، بل نجدها تمتاز بأسلوبٍ بلاغي بديع، من ذلك ختم الآيات والأحاديث بأحرفٍ مُعَينةٍ كقوله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[مريم: ٧٧-٨٠]، وكما في السور القصار، كالناس وغيرها. وفي قوله ﷺ لابن عباس -رضي الله عنه-: "يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"(٥٣) .

كما يبرز الأثر الدلالي للصوت اللغوي في نصوص الوحي في: إثراء المعنى بتغيُّر التشكيل، كما في بعض القراءات السبع لآي القرآن، والروايات المتنوعة للأحاديث، التي إمّا أنْ تؤكد المعنى المراد شرعاً، أو تزيدَ على مجرد المعنى المفهوم من الضبط أو اللفظة الأولى، و"الاختلاف بين القراءات منها ما يؤثر على دلالة اللفظة ومعناها، ومنها ما يقتصر تأثيرها على نواحٍ صوتيةٍ أدائيةٍ كالإمالةِ والتقليل...، وغيرها مما لا يمس معنى الكلمة"(٥٤) . ومن أمثلة تأثر المعنى بتغيُّر القراءة: قراءة قوله تعالى (مالك يوم الدين)؛ فقد "قرأ (ملك يوم الدين) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة بن حبيب. وقرأ (مالك يوم الدين) عاصم والكسائي ويعقوب الحضرمي، قال الأزهري: من قرأ (مالك يوم الدين) فمعناه: أنه ذو الملكة في يوم الدين. وقيل: معناه أنه مالك الملك يوم الدين...، قال أبو العباس: والذي أختار (مالك)؛ لأن كل من

(٥٠)أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٨٨/٣٠ (١٨١٥٤). والترمذي في السنن، ٨٨/٢ (١٠٨٧) واللفظ له، وقال: "هذا حديث حسن"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٩٨/١ (٩٦).

(٥١)معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج:١، ص ٧١، ٧٢.

(٥٢)البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج:١، ص ٣٤٢.

(٥٣)أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٠٩/٤ (٢٦٦٩)، والترمذي في السنن، ٢٤٨/٤ وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٥٤)أثر اختلاف القراءات القرآنية في إثراء الدلالة، خالد محمد صابر، العدد٤ ١١٢٤/٩.

يملك فهو مالك، لأنه بتأويلِ الفعلِ (مالك الدراهم) و (مالك الثوب) و (مالك يوم الدين) الذي يملك إقامة يوم الدين"[٥٥] .

والاختلاف في القراءة المؤثر في المعنى هو من نوع خلاف التنوع الذي يمد أفق اللفظ ليستوعب معانٍ أُخَرَ يدل عليها[٥٦]، وأما اختلاف (روايات/ألفاظ) الحديث فقد وقع على عدةِ وجوهٍ هي: تعدد الروايةِ لتعددِ الرواة أنفسهم في واقعةٍ متكررة، أو أن تكون الواقعةُ واحدةً لكن ألفاظها تختلف فيما بينها، أو أنْ ترد الروايةُ بألفاظٍ مختلفةٍ لا تَناقض بينها، ولكنْ بحصولِ زيادةٍ في بعضها، ولكلٍّ منها حكمٌ خاصٌ جعله له علماءُ الحديث. ووجود هذا الاختلاف –إنْ على مستوى القراءات في القرآن الكريم أو على مستوى اختلاف الروايات في الأحاديث النبوية الشريفة– يدل على حضورِ الدلالةِ الصوتيةِ بشكلٍ فعليٍ في نصوصِ الوحي، ويؤكد أنَّ تَغيّرَ الحرفِ وتَغيّرَ ضبطِه حاصلٌ لإفادةِ قصديةِ المعنى للقارئ، ويؤكد عربيةَ الوحي، وفعلَ تداولية اللغة العربية في ألفاظه وحركاته؛ وبذلك يتقرر أنَّ "كل كلمة من القرآن الكريم لها استقلاليةٌ خاصة، تمنحها إياها حروفُها المعَيَّنة؛ مما تكسبها صوتياً خاصيةً سمعيةً منفردة، تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه"[٥٧] ، والأمر ذاته في السنة الصحيحة. والعلاقة كما نلاحظ عكسية أيضاً، فكما أنَّ التلاؤم الصوتي أصيلٌ في رسمِ ألفاظ الوحي ونطقها وكتابتها وفهمها، فإنَّ الوحي أصلٌ في بقاء هذه اللغة وبقاء تداوليتها على الوجه الذي نزل به القرآن الكريم على الرسول ﷺ؛ ليصبح "القرآن هو القاعدة الصلبة للنطق العربي الصحيح لجملةِ أصواتِ اللغة"[٥٨] بعد عصر النبوة وحتى تقوم الساعة على آخر هذه الأمة، وهذا بلاشك مِن صُوَرِ حفظِ الله تعالى وحيَه الشريف.

أما **الأصل الثاني** فيتمثل في: المعجم: ونعني به معجم اللغة العربية المتكون من استعمالها وتداوليتها، فثنائية اللفظ والمعنى في حركيةٍ دائمة، فإمَّا أنْ يتسع نطاقُ اللفظ ليُعَبّر عن معنى آخر، أو يضيق ويقتصر على معنى محدد، أو ينتقل اللفظ ليُستعمل في دلالة على معنى آخر، وهكذا تستمر حركية المعجم في أية لغة[٥٩]. ونصوص الوحي جاءت معتبِرةً للمعجم العربي في عصر النبوة[٦٠]، إنْ على مستوى تكوين

(٥٥)معاني القراءات، أبو منصور محمد الأزهري، ج:١، ص ١٠٩، ١١٠.

(٥٦)انظر في هذا: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٥٢/١، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣٩١/١٣، الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني، إياد سالم السامرائي موقع ملتقى التفسير: https://vb.tafsir.net/، البلاغة واختلاف روايات الحديث، أيمن أبو مصطفى موقع شبكة الفصيح: https://www.alfaseeh.com/vb/forum.php .

(٥٧) أثر الصوت في توجيه الدلالة دراسة أسلوبية صوتية، ساجدة عبد الكريم، العدد٣، ٣٠١/١٧.

(٥٨) الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين، الصغير، ص ٧٥.

(٥٩) انظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص ١٦١– ١٦٣.

(٦٠) الاحتكام إلى عصر النبوة هنا يرجع إلى أنَّ أصل اللغة اصطلاحي، والعربية –بلا شك– إحدى لغات الدنيا التي تقوم في أصلها على الاصطلاح، ويرجع أيضاً إلى أن اللغة كسائر اللغات يمر معجمها بحركة دائمة نتيجة التداولية التي تخضع لعدد من الظروف

الألفاظ، أو على مستوى الدلالة، فأمَّا في الجهة الأولى فإنَّ الله ﷻ أخبر في كتابه الكريم بأنَّ هذا القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾[الشعراء:١٩٥]، وهذا صريح في اعتبار الوحي للاصطلاح العربي للألفاظ والمعاني، وذلك على مستوى وضع الألفاظ ابتداءً، وعلى مستوى استعمال اللفظ للدلالة على المعنى، وعلى مستوى كيفية دلالة الألفاظ على معانيها في السياقات المختلفة، فإننا إنْ "قلنا: إنَّ القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى: أنه أُنزل على لسانِ معهودِ العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها"(٦١) . وقد قال الطبري –رحمه الله–: "فالواجب أنْ تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهرُه لظاهرِ كلامها ملائماً، وإنْ باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصفنا. فإذا كان ذلك كذلك؛ فبيِّنٌ إذ كان موجوداً في كلام العرب الإيجاز والاختصار، والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، واستعمال الإطالة والإكثار، والترداد والتكرار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر، وعن الكناية والمراد منه المصرح، وعن الصفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر، وتأخير ما هو في المعنى مقدم، والاكتفاء ببعضٍ مِن بعض، وبما يظهر عما يحذف، وإظهار ما حظه الحذف= أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك في كل ذلك له نظيراً، وله مثلاً وشبيهاً"(٦٢)؛ ولذا تجد في جهة الدلالة أنَّ العربية في زمن النبوة أصلٌ في فهم المعنى المراد. والعرفية المعتبرة هنا هي ما كان على المشهور والغالب من لغة العرب آنذاك؛ ودلائل هذا الأثر تظهر –مثلاً– في استفادةِ المفسرِ المعنى من الشعر العربي، كما جاء عن ابن عباس –رضي الله– عنه أنَّه قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفةَ ذلك منه"(٦٣) . وتجد أيضاً أنَّ مسائل الخلاف العقدي المتعلقة بمسألة التأويل تنبثق من نواة العلم باللغة العربية، وعُرفية استعمالها زمنَ نزول الوحي، وعلى المشهور والغالب عند العرب آنذاك، ومدى إعماله عند تفسير النص وإظهار مدلوله(٦٤)؛ وهذا الأخير يُعد سبباً أصيلاً في عدم تجويز إلغاء دلالة اللغة العربية الظاهرة إلا بدليلٍ معتبر، وفي هذا يقول ابن حزم –رحمه الله–: "من أحال شيئاً من الألفاظ اللغوية عن وضوعها في اللغة بغير نصٍ مُحيلٍ لها ولا بإجماعٍ من أهل الشريعة؛ فقد فارق

الاجتماعية والجغرافية وغيرها. انظر: المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، ١/٨– ١٤، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، ص١٧.

(٦١)الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ج:٢، ص ١٠٣.

(٦٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج:١، ١٢، ١٣.

(٦٣) المزهر في علوم اللغة، ج:٢، ص ٦٧.

(٦٤) انظر مثلاً: الرد على تأويل الاستواء لله عز وجل في الرد على الجهمية للدارمي، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع، محمد الشيخ عليو.

حكم أهل العقول والحياء، وصار في نصابِ من لا يُتَكلم معه" [٦٥] ، "وحكم الحقيقة اللغوية: ثبوت المعنى الذي وُضِع له اللفظ أمراً كان أو نهياً... وهذا الثبوت لا يُقصد به الثبوت بمعنى الصدق أو المطابقة للواقع، بل المقصود: ثبوت النسبة بين اللفظ ومسماه من حيث إنَّ اللفظ مستعملٌ في المسمى الموضوع له"[٦٦] ؛ وهذا من منطلقِ أنه ما دامت اللغة بمثابةِ المرجعيةِ لفهم المعنى فقد كان لزاماً أن تُحفظ لها ماهيتُها التي تَضْمنُ الوصول للمعنى، وهذا يتسنى بمراعاة دلالاتها وأساليبها في إيراد الكلام. وقد راعى الوحي الشريف أساليب العرب في إيرادها الكلام، وتضَمن ما تضمنته طريقتُهم من إعمال العموم والخصوص، والحقيقة والمجاز[٦٧]، والإطلاق والتقييد، وحضور المعنى إمّا بطريقة المطابقة أو التضمن أو اللزوم، ونحو ذلك من أساليب اللغة العربية في استعمال الألفاظ ووضعها إزاء المعاني؛ فإنَّ الله تعالى – حين جعل الوحي بهذا اللسان– جعل البيان والتفهيم بذلك اللسان، كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الدخان:٥٨].

وكما تأثرتْ ألفاظُ الوحي بأساليب اللغة العربية فإنّ الوحي كذلك بدوره أيضاً أثّر على اللغة العربية ذاتها؛ فإنَّ الله تعالى حين اختارها لغةً للوحي اختار لها آنذاك الخلود، وهيأ لها أسباب الحفظ والتقعيد العلمي على يدِ من سخرهم من العلماء في هذا الفن؛ فنشأ عديدٌ من العلوم المتعلقة بالعربية بلاغةً وبياناً كالنحو وغيره، ونشأ عديدٌ من المعاجم التي تُعنى بالألفاظ العربية، ونشأت عنايةٌ خاصة بألفاظ الوحي، فوُجِدتْ كتبُ المفردات والغرائب والمشكل ونحوها[٦٨]، وعندئذٍ أصبح "القرآن هو الحاكم على العربية والمهيمن عليها. فلقد شاء الله أن يجعل العربية لغة الوحي المنزل لتصبح لغة دين، ثم كتب لها الحفظ والخلود بحفظ القرآن وخلوده"[٦٩] ما بقيَ القرآن الكريم بين ظهرانينا هادياً ومنيرا.

---

(٦٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، ج:٣، ص ١٧.

(٦٦) التغير الدلالي وأثره في فهم النص القرآني، محمد الشتيوي، ص ٩٧.

(٦٧)من المسائل التي وقع الخلاف فيها: مسألة وقوع المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم؛ فقد ذهب بعض أهل العلم إلى إنكار وقوع المجاز في اللغة وفي القرآن، وكان من حججهم في ذلك أن أهل البدع اتخذوا من المجاز سبيلاً إلى نقض كل ما يخالف أصولهم من نصوص الكتاب والسنة وحملها على المجاز وتأولوها بما يخالف الظاهر، إلى غير ذلك من الأسباب، بينما ذهب جمهور أهل الأصول والفقه على وقوعه في اللغة والقرآن؛ لأنه نزل على معهود لسان العرب وأساليبهم، مع تأكيد أن وقوع المجاز مشروط بضوابط أهمها: القرينة الدالة على نقله من الحقيقة إلى المجاز، سواءً أكانت لغوية أم عرفية أم شرعية. انظر في هذا مثلاً: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٠/٤٠٠ وما بعد، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/١٢٠– ١٤٠، الخصائص، ابن جني، ٢/٤٤٩، التغيير الدلالي وأثره في فهم النص القرآني، ص١٤٠– ١٦٥، المجاز من الإبداع إلى الابتداع، عبد المحسن العسكر، مجلة الدراسات الإسلامية، ٢٦/٤٩– ١١٣.

(٦٨) انظر للاستزادة مثلاً: أثر القرآن والحديث في اللغة العربية نشأة المعجم العربي أنموذجاً، العمري بلاعدة، مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط، ٢٠١٧م، العدد٥٨، أثر الأحاديث النبوية في صناعة المعاجم اللغوية وبناء القواعد النحوية، صالح تقابجي، مجلة صوتيات– جامعة البليدة– الجزائر، ٢٠١٩م، ج: ١٥ العدد ٢.

(٦٩)أثر القرآن والحديث في اللغة العربية نشأة المعجم العربي أنموذجاً، بلاعدة، ص ٦.

وقد أضاف الوحي الشريف للمعجم العربي دلالاتٍ شرعيةً أصبحتْ تُقارِن الإطلاقَ اللغوي وتُخصصه في أحيانٍ كثيرة؛ ذلك "أن ألفاظ اللغة تتغير معانيها تبعاً للأزمان والمراحل التي تمر بها اللغة وفقاً لحاجة الناس إلى معانٍ جديدة[٧٠] ، ومن هذا المنطلق –المتقرر في علوم اللغة– فقد "كان للإسلام وما أتى به من تطورٍ فكري واجتماعي آثارٌ بعيدة في اللغة وتطوير معاني الكثير من ألفاظها التي لم تكن مستعملةً من قبل، وألبس ألفاظاً قديمة معانيَ جديدة لم تكن تلبسها وتدل عليها"[٧١] ، وهو ما عبر عنه علماءُ الأصول والبلاغة بالحقيقة الشرعية، وقد وقع الخلاف في طبيعة نقل الدلالات من الاستعمال الوضعي/اللغوي إلى الاستعمال الشرعي على: القول بوجوده مطلقاً، وأنَّ الشرع كما نقل دلالة الألفاظ إلى معانٍ جديدة فقد أسس لمعانٍ جديدة ذات علاقةٍ بالأصل اللغوي[٧٢]. وعلى القول: بأن الشارع إنما نقلها عن معناها العرفي أو اللغوي إلى المعنى الشرعي المراد له، وعلى القول: بأن الشارع لم ينقل دلالات هذه الألفاظ وإنما قيدها بشروط حتى يتبادر المعنى المراد شرعاً عند إطلاقها؛ وذلك لأنَّ الشرع نزل بلغة العرب فلا يصح أن يُقال أنه يتصرف في دلالاتها[٧٣]. والحقيقة التي لا يمكن لهذا الخلاف أن ينفيها هي: وجود الحقيقة الشرعية، سواءً ابتداءً من الشارع أو تخصيصاً أو حتى وضعها وضع العرف المقارن للعرف اللغوي، ومن هذه الجهة نقرر زيادة الوحي على المعجم العربي ونشأته من بعد النزول بصورةٍ أخرى، ذلك لأنه "قد وردت في القرآن الكريم الكثير من الألفاظ التي تطورت دلالتها عما كانت عليه في الجاهلية تعميماً أو تخصيصاً أو انتقالاً في الدلالة، ولا سيما بالألفاظ الإسلامية أو المصطلح القرآني، وأشار إلى هذا الكثيرُ من المفسرين في تفاسيرهم"[٧٤] ؛ ومن هنا أصبح التزام الدلالة الشرعية عند فهم المراد من نصوص الوحي أوجب، بحيث إنه "إذا تردد اللفظ الصادر من الشارع بين أمورٍ فيُحمل أولاً على المعنى الشرعي؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بعث لبيان الشرعيات. فإن تعذر حُمل على الحقيقة العرفية الموجودة في عهده عليه الصلاة والسلام؛ لأن التكلم بالمعتاد عرفاً أغلب من المراد عند أهل اللغة. فإنْ تعذر حُمل على الحقيقة اللغوية؛ لتعيُّنها بحسب الواقع"[٧٥] .

وما سبق يُسلمنا إلى أنَّ الدالَّ في نصوص الوحي قد تأثر بشكلِ اللغة العربية وأساليبها وأوجه البيان والإعجاز المختلفة فيها، فأتتْ الألفاظُ أو الأسماءُ على صورتها، ابتداءً من تشكل (حروفها/أصواتها)

(٧٠)أثر تطور اللغة في القرآن الكريم، حسن عكريش، ص ١٩١.

(٧١)المرجع السابق. ص ١٨٣.

(٧٢)انظر: التغير الدلالي وأثره في فهم النص، ص ١٠٦.

(٧٣)انظر مثلاً: جنة المناظر وروضة الناظر، ابن قدامة المقدسي، ٤٩٤/١– ٤٩٧، البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ١٤/٣– ٣٠، مجموع الفتاوى، ٢٩٨/٧ وما بعد، المزهر في علوم اللغة، ٢٩٨/١ وما بعد.

(٧٤)تطور اللغة وأثره في القرآن الكريم، ص ١٨٤.

(٧٥)المرجع السابق، ص ١٨٤.

وكيفية النطق بها، وانتهاءً إلى اعتبار دلالاتها، وأنَّ اللغة العربية معيارٌ مهمٌ وأولي لفهم نصوص القرآن والحديث النبوي.

المطلب الثاني: المعنى في نصوص الوحي.

إن وجود (المدلول/المعنى) المطلق والموضوعي في نصوص الوحي حقيقةٌ ظاهرة؛ فالوحي -قرآناً وسنةً صحيحة- خالدٌ محفوظٌ بحفظ الله له، أراد به تعالى الهداية لخلقه كما قال تعالى :﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩]، وقال ﷻ: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه:٢-٤]، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٥١]؛ فمقتضى هذه الآيات الدلالة على الهداية بالكتاب والسنة الصحيحة إلى يوم الدين، والهداية والتعليم لا تقوم إلا على وجود المعنى المقصود من قِبلِ الله تعالى. والمدلول في نصوص الوحي يتجه إلى تعليم الخلق وتبصيرهم بمدلولات عالم الشهادة وعالم الغيب، حيث تضمنتْ نصوصُ الوحي الإخبارَ عن وقائع الأنبياء السابقين وأقوامهم، وتضمنت الإخبار عن الجنة والنار والمخلوقات الأخرى كالملائكة والجن وغير ذلك؛ ولاتساع مدلولاتها اتسعت دلالتها لتكون دلالةً لفظيةً ودلالةً غير لفظية.

وتقوم أوجُهُ تحصيلِ (المعنى/الدلالة) في نصوص الوحي: في دلالة اللغة، وقد أشرنا إليها في المطلب السابق، وانتهينا إلى تلازم اللغة العربية والوحي، وأنَّ الوحي هو أصل لزوم تداولية العربية، من زمن النبي ﷺ حتى زماننا هذا، بحيث صار الوحي حافظاً لبقاء العربية وحيويتها، كما أنه قد اعتبَر بها في نزوله على وفق قواعدها وأساليبها. ومن هنا يتحصل المدلول في نصوص الوحي من خلال دلالة السياق، وهي على نوعين :سياق النص في ذاته، وسياق الموقف التاريخي.

وسياق النص أو القرائن المقالية -كما يعبر بذلك علماء الأصول- يراد بها الكلام المحيط بالنص سياقاً وسباقاً ولحاقاً لتدل على مقصود الشارع من النص(٧٦)، فتقوم هذه الدلالة على الشمول والنظرة التكاملية لنصوص الوحي؛ لتُعَيّن المعنى المراد للشارع الكريم؛ فـ"السياق يرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات. وكل ذلك بعرف الاستعمال. فكل صفةٍ وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وإن كانت ذماً بالوضع. وكل صفةٍ وقعت في سياق الذم كانت ذماً وإن كانت مدحاً بالوضع،

(٧٦)انظر: البرهان في أصول الفقه، الجويني، ١٣٣/١، إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٨٨/٣، دلالة السياق، الطلحي، ص ٤١ وما بعد، دلالة السياق وأثرها في تفسير النص الشرعي، العنزي، ص ٣١-٣٧.

كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[الدخان:٤٩]"[٧٧] ، و"الدلالة في كل موضعٍ بحسب سياقه وما يحف به من القرائن اللغوية والحالية"[٧٨] ؛ ولهذا جوَّز بعضُ الأصوليين تخصيصها لعموم النص في الوحي، وترجيحها لهذا المعنى دون ذاك، أو حتى إفادتها تنوع الدلالة، ونحو ذلك مما هو مجالٌ لإعمالها.

وأما دلالة الموقف وسياقه التاريخي فـ"يشار إليه عند اللغويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين باصطلاحاتٍ أخرى تؤدي المفهوم نفسه، من مثل: الحال (الأحوال)، المشاهدة، الشاهد... والمقام والموقف"[٧٩] ، ويراد بهذه الدلالة: الوقوف على "الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها"[٨٠] ، وتبرز هذه الدلالة في الاعتداد "بأسباب النزول للآيات، أو أسباب الورود للأحاديث، أو القرائن الحالية اللاحقة، كتصرفاته ﷺ التي تأتي بياناً لمجمل القرآن"[٨١] ؛ حيث تقوم فائدة الاعتبار بأسباب نزول الآيات في نواحٍ عدة أبرزها: الوقف على المعنى المراد من الآية بالوقوف على الوصف أو الشخص وما يتعلق بها من أحكامٍ ومفاهيم ونحو ذلك.

ودلالة السياق بنوعيها متداخلةٌ مؤثرة في بعضها، بحيث إنَّ المعتبِر بها يتوجه إلى المعنى المراد ويستطيع أنْ يمسك بالدلالة، وفي هذا يقول الشاطبي –رحمه الله–: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بالٍ من المستمع والمتفهم: الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض؛ لأنها قضيةٌ واحدةٌ نازلةٌ في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن ردِّ آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإنْ فرَّق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، إلا في موطنٍ واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه، لا بحسب مقصود المتكلم، فإذا صح له الظاهر على العربية؛ رجع إلى نفس الكلام، فعمّا قريب يبدو له منه المعنى المراد؛ فعليه بالتعبد به، وقد يعينه على هذا المقصد النظرُ في أسباب التنزيل؛ فإنها تبين كثيراً من المواضع التي يختلف مغزاها على الناظر"[٨٢] ؛ فتقوم الدلالة من طريق الشرع ذاته: أي بالعودة في فهم النص إلى النص ذاته، وجانبٌ من هذا رأيناه في أثر الوحي على اللغة

(٧٧) البحر المحيط، الزركشي، ج: ٨، ص ٥٥، وانظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ٣٩٨/١.

(٧٨)مجموع الفتاوى، ج: ٦، ص ١٤.

(٧٩)دلالة السياق، ص٤٢.

(٨٠)المرجع السابق. ص٥٠.

(٨١)دلالة السياق وأثرها في تفسير النص الشرعي، ص ٤٣.

(٨٢)الموافقات، ج:٤، ص ٢٦٦.

العربية، والجانب الآخر لهذه الدلالةِ يظهر في طرق تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة الصحيحة، وتفسير السنة بالقرآن وبالسنة الصحيحة؛ وهذا التفسير ينطلق من قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩]؛ فتضمُّن النصِ لدلالته داخل بالتضمن تحت مفهوم بيانه وهدايته للخلق إلى الحق، وتعني دلالة القرآن بالقرآن: "بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة"(٨٣) ، ومن الأمثلة على هذا الإعمال ما جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ من أنه "لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعِظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"(٨٤) . وليس من شروط تفسير القرآن بالقرآن أو السنة أن يأتي صريحاً متتابعاً في السياق، بل قد يأتي هذا النوع من التفسير اجتهادياً، وهو ما يظهر في إعمال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء التفسير وعلماء الأصول لهذه الدلالة، والتي من وجوهها تفسير المجمل بالمبين، وحمل مطلقه على مقيده، والجمع بين ما يوهم تعارضه، ونحو ذلك(٨٥)، فمن أمثلة حمل المطلق على المقيد –من خلال تفسير القرآن بالقرآن– تفسير "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴿٩٠﴾﴾[آل عمران: ٩٠]، قال بعض العلماء: يعني إذا أخروا التوبة إلى حضور الموت، فتابوا حينئذ. وهذا التفسير يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴿١٨﴾﴾[النساء: ١٨]، فالإطلاق الذي في الآية الأولى ذُكر مقيدُه في الآية الثانية"(٨٦) ونحو ذلك. ويأتي النص النبوي الصحيح تالياً بوصفه طريقاً لتفسير النص القرآني النبوي ذاته، كما أن القرآن مفسرٌ لذاته؛ ذلك أنَّ السنةَ الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ هي وحي إلهي حاكمٌ ومعيارٌ في فهم النص؛ لقوله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤]؛ وهذا الاعتبار هو الأصل في قوله ﷺ: "إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحواض"(٨٧) ، فالسنة بمثابة المعنى والمدلول لنص القرآن ولذاتها أيضاً، وهذا كما قال الشافعي –رحمه الله تعالى–: "كل ما سن رسول الله مع كتاب الله من سنة فهي موافقة

(٨٣) السياق القرآني وأثره في التفسير، عبد الرحمن المطيري، ص ٧٦.

(٨٤)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى {ولقد آتينا لقمان الحكمة –[١٦٣]– أن اشكر لله} [لقمان: ١٢]، ١٦٣/٤ (٣٤٢٩).

(٨٥)انظر مثلاً: فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، ٣٧/١ وما بعد، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من المؤلفين، ٥٥/١–٥٩، تفسير القرآن بالقرآن، أحمد البريدي موقع ملتقى أهل التفسير: https://vb.tafsir.net/ .

(٨٦) فصول في أصول التفسير، ٣٩/١، ٤٠.

(٨٧)أخرجه الحاكم في المستدرك. ١٧٢/١ (٣١٩). وصححه الألباني في السلسة الصحيحة. (٣٦١/٤).

كتاب الله في النص بمثله، وفي الجملة بالتبيين عن الله، والتبيين يكون أكثر تفسيراً من الجملة"[٨٨]، ويقول ابن القيم في هذا: "وكذلك عامة ألفاظ القرآن نعلم قطعاً مراد الله ورسوله منها كما نعلم قطعاً أن الرسول بلغها عن الله ، فغالب معاني القرآن معلوم أنها مراد الله خبراً كانت أو طلباً، بل العلم بمراد الله من كلامه أوضح وأظهر من العلم بمراد كل متكلم من كلامه؛ لكمال علم المتكلم وكمال بيانه وكمال هداه وإرشاده وكمال تيسيره للقرآن حفظاً وفهماً عملاً وتلاوةً، فكما بلّغ الرسول ألفاظ القرآن للأمة بلغهم معانيه، بل كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه؛ ولهذا وصل العلم بمعانيه إلى من لم يصل إليه حفظ ألفاظه، والنقل لتلك المعاني أشد تواترا وأقوى اضطراراً، فإن حفظ المعنى أيسر من حفظ اللفظ، وكثير من الناس يعرف صورة المعنى ويحفظها ولا يحفظ اللفظ، والذين نقلوا الدين عنه علموا مراده قطعا لما تلا عليهم من تلك الألفاظ"[٨٩] . والحاصل أن دلالة الشرع تقوم على ما زاده الشارع من دلالاتٍ في باب اللغة أو في باب التفسير، التي تقتضي إفهام المعاني للمكلفين.

ومما سبق يمكننا أنْ نقول: إنَّ الدلالة على المعنى في نصوص الوحي تقوم على اعتباراتٍ مقارنة لبعضها البعض؛ حيث تقوم الدلالة اللغوية على اعتبارِ ذاتيةِ اللغة التي نزل بها الوحي وخصوصيتها، وخصوصية استعمال المخاطبين باللغة زمن النبوة وفق حقائق اللغة والعرف، لكنها تزيد عليها بالحقيقة الشرعية وهو (عرف/استعمال) الشارع للدوال لإفهامِ معانٍ مخصوصةٍ للمكلفين. وهذه الدلالة لا تقوم بذاتها، بل تستند أيضاً إلى استعمال السياق اللغوي ذاته، والسياق التاريخي الذي يُعَد قرينةً توجّه الظاهرَ اللغوي من الصورة الظاهرة والجزئية إلى الصورةِ الدلاليةِ الكليةِ التي تقوم على التركيب والسببية، التي تسهم في إثراء القياس واطراد هذا الفهم؛ ذلك أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٩٠] أو الواقعة التاريخية. واعتبار دلالة السياق تقود بالضرورة إلى اعتبار سياق النص الديني ذاته من حيث الجملة، وهذا ما تَبَدّى في تفسير القرآن بالقرآن والسنة والعكس. وهذا التكامل والتلازم لا يتعارض بعضُه مع بعض، بل رأينا أنَّ بعضَه يفضي إلى بعض، ويستلزم بعضُه بعضاً؛ وكأن استنطاق المعنى في نصوص الوحي يقود إلى تقرير هذه الدلالات بذاتها.

إذا تبيَّن هذا وجئنا إلى مقارنة هذه الخلاصة بمطالبِ القراءةِ التجديديةِ للنص الديني، ونصوص القرآن بشكلٍ خاص؛ نجد أنَّ ما يُقرر المعنى في نصوص الوحي هو اعتبار تداوليةِ الاستعمال وإقرار نص

(٨٨)تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، ج:١، ص ٢١٠.

(٨٩)الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ج:٢، ص ١٣٦.

(٩٠) خلافاً للمشهور عن مالك ومن وافقه من علماء الشافعية كأبي ثور والمزني والقفال رحمهم الله جميعاً. انظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول للأسنوي ١/ ٢١٩، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي لعلاء الدين البخاري ٢/ ٣٩٠، الوَاضِح في أصُول الفِقه لابن عقيل ٣/ ٤١٨.

الوحي، بل قيامه على أساسِ تداوليةِ الاستعمال في تركيب الأسماء على مسمياتها أو الدال على مدلوله، وهذا يعني إقرار الشرع باتساع المدلولات، وأنَّ هذا التقرير –وإنْ توهم متوهمٌ أنه يفضي إلى نسبية– لا يؤدي إلى سيولة ألفاظ الوحي والإتيان بمصطلحاتٍ تحل محلَّ ألفاظ القرآن أو السنة، وإنما يعني أنَّ نصوصَ الوحي ذاتُ معانٍ ثابتةٍ وقارة، ورسالةٍ متعاليةٍ قدسية، يمكن أنْ يُنقل بالترجمة وأنْ يُفهم بما يقارب ألفاظ الوحي، وهذا ما يمكن أنْ نسميه باتساع الدلالة في نصوص الوحي. هذا في جهة مطالبة التيار التجديدي بإعمال الجزء العلاماتي للغة في فهم نصوص الوحي؛ وذلك بجعلهم العلامة مرادفةً لمصطلح الدلالة، وأنَّ المعنى اعتباطي ونسبي؛ ولذا قرروا الحاجة إلى إيجادِ معنى تاريخي يتلاءم مع مختلف عصور المكلفين.

وأما في جهة قيام القراءة التجديدية على السياق التاريخي والاعتبار بالسببية؛ فقد وجدنا أنَّ الدلالة في نصوص الوحي تقرر السياقين التاريخي واللغوي، كطرقٍ لتحصيلِ المدلول والإمساك بالدلالة فيها، وهذا الطرح يعني أنَّ مطلب التجديد هنا لم يُضِفْ إلى الأصول المقررة لفهم النص شيئاً، وإن ظنت أنها مناهجٌ تحديثيةٌ عصرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى رأينا أنَّ دلالة السياق المعتبرة لا تفصل السياق الشرعي عن السياق التاريخي؛ حيث يبقى المقام التاريخي بمثابة السبب المفضي إلى عمومية الخطاب بطرقِ القياسِ والاستنباط، وبالتالي لا نرى تفاعل الوحي مع حوادث الصحابة منطلقاً فاعلاً في النص لفظاً أو معنًى في عزلةٍ تامةٍ عن السياق اللغوي والقرائن الأخرى كما توهم أصحاب الاتجاه التجديدي.

الخاتمة

١. انتهى البحث –من خلال تحليل آراء بعض رموز الاتجاه التجديدي في قراءة النص الشرعي– إلى أنها تقوم على: المطالبة بإعمال التاريخية من خلال النظر إلى بشرية اللغة وبشرية الرسول ﷺ وبشرية المخاطَبين بالوحي، وأنَّ الوحي –بما أنه قد نزل في هذه القوالب– ما هو إلا تجربةٌ تاريخية؛ ولهذا يجب إعمال هذه التاريخية في قراءته وتفسيره المعاصر. كما قامت هذه القراءة أيضاً على المطالبة بإعمال المناهج الألسنية الحديثة في تأويل الوحي، وهذا يتضمن التركيز على نسبية الدلالة وتغيُّرها.
٢. يتحدد الدال –عندنا– في نصوص الوحي من جهتين هما: اللغة العربية والشرع؛ فالعربية هي اللغة أو اللسان الذي نزل به الوحي لفظاً ومعنى. ففي مجال المعنى أكدنا أثر اللغة العربية على الدلالة في نصوص الوحي واعتباره بها وفق ما اصطلح عليه بالدلالة اللغوية والعرفية. ورأينا من جهةٍ أخرى أنَّ الوحي قد أضاف للمعجم العربي، وأصبح للشرع –بداية بالنص القرآني– عُرفٌ دلاليٌّ خاصٌ يقارن العرف اللغوي في العربية؛ وبالتالي تحتكم الدلالة في الوحي إلى

(العرف/الاستعمال اللغوي) وإلى (الاستعمال الشرعي) معاً، وهذا ينقض الرمزية التي أكدها دعاةُ التجديد، وقالوا بأنَّ هذا مقتضى كون الوحي نزل باللغة العربية.

٣. تعدّ الدلالة الجزءَ الذي يُعبر عن المدلول، وليست هي ذاته؛ وذلك لأنَّ القول بأنها ذاته يقتضي الثبات في الاصطلاح إلى الحد الذي ينعدم معه إمكان مخاطبة الوحي لغير الناطقين بالعربية، وهذا خلاف الواقع.

٤. انتهى البحث إلى أن أفق المعنى في نصوص الوحي هو أفق مطلقٌ وموضوعي؛ ولذا فهو يُبرز دلالتَه إلى المخاطبين به بصورة تكاملية، تعتبر الواقع (الاستعمال العرفي واللغوي والسياق التاريخي) وتعتبر (قصدية المتكلم) ذاته، وهذه الأخيرة برزت في دلالة النص على معناه نصاً صريحاً أو اجتهاداً عقلياً معتبراً من خلالِ حملِ نصوصِ الوحي على بعضها. وهكذا فإنَّ مركزية نصوص الوحي المتمثلة في ثبات معناها وموضوعيته لا تتعارض مع إمكانية التجديد، لكنَّ ذلك مشروطٌ بالتكامل بين السياقات اللغوية والتاريخية والقرائن المحتفة بالنص، والنظرة الكلية لنصوص الوحي وطلاقيتها وإلهية مصدرها.

والله أعلم

وصلِ اللهم وسلم على نبيك الكريم

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي العز. صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١٠، مؤسسة الرسالة– بيروت.

٣. ابن تيمية. أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق قاسم، عبد الرحمن بن محمد، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– السعودية، ١٩٩٥م.

٤. ابن جني. أبو الفتح عثمان. الخصائص، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، د. ع.

٥. ابن حنبل. أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط –عادل مرشد، وآخرون إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

٦. ابن حزم. علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، د.ط، مكتبة الخانجي، د. ع.

٧. ابن فارس. أحمد بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٨. ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المحقق: الدخيل الله. علي بن محمد، ط١، دار العاصمة- السعودية، ١٤٠٨هـ.

- أبو زيد. نصر حامد

٩. النص، السلطة، الحقيقة، ط١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م.

١٠. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط١، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٤م.

١١. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ط١، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٤م.

- أركون. محمد

١٢. الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة صالح. هاشم، ط٢، مركز الانماء القومي- المركز الثقافي، ١٩٩٦م.

١٣. القرآن التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق صالح. هاشم، ط٢، دار الطليعة، ٢٠٠٥م.

١٤. الأزهري، محمد بن أحمد، معاني القراءات، ط١، مركز البحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود- السعودية، ١٩٩١م.

١٥. أبو داود. سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المحقق: عبد الحميد. محمد محيي الدين، د.ط، المكتبة العصرية، د.ع.

١٦. الألباني. محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، د.ط، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤١٥- ١٤٢٢هـ.

١٧. أولمان. ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة محمد. كمال، د.ط، مكتبة الشباب، د.ع.

١٨. الإبراهيمي. خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، ط٢، الجزائر: دار القصبة، ٢٠٠٦م.

١٩. باديس. محمد، مفهوم النص وقراءاته في الفكر العربي المعاصر، جامعة وهران- الجزائر، ٢٠١٧م.

٢٠. البخاري. محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق الناصر، محمد زهير بن ناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢١. بنعبد العالي. عبد السلام، أسس الفكر الفلسفي المعاصر مجاوزة الميتافيزيقا، ط٢، الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠٠م.

٢٢. الترمذي. محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق معروف. بشار عواد، د.ط، دار الغرب الإسلامي –بيروت، ١٩٩٨م.

٢٣. الحاكم. محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: عطا. مصطفى عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٠م.

٢٤. الداية. فايز، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ط٢، دار الفكر– دمشق، ١٩٩٦م.

٢٥. دريدا. جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، ط٢، المغرب: دار توبقال، ٢٠٠٠م.

٢٦. الرويلي. ميجان، والبازعي. سعد، دليل الناقد الأدبي، ط٣، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م.

- الزركشي. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله

٢٧. البحر المحيط في أصول الفقه، ط١، دار الكتبي، ١٩٩٤م.

٢٨. البرهان في علوم القرآن، تحقيق إبراهيم. محمد أبو الفضل، ط١، دار إحياء الكتب العربية–بيروت، ١٩٥٧م.

- سروش. عبد الكريم

٢٩. الصراطات المستقيمة، ترجمة القبانجي. أحمد، ط١، منشورات الجمل– بيروت، ٢٠٠٩م.

٣٠. بسط التجربة النبوية، ترجمة القبانجي. أحمد، ط١، منشورات الجمل –بيروت، ٢٠٠٩م.

- السيوطي. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين

٣١. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق إبراهيم. محمد أبو الفضل، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد، ط١، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.

٣٣. سبيلا. محمد، الحداثة وما بعد الحداثة، ط٢، المغرب: دار توبقال، ٢٠٠٧م.

٣٤. الشاطبي. إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق حسن. أبو عبيدة مشهور، ط١، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.

- الشافعي. محمد بن إدريس المكي

٣٥. الرسالة، المحقق: شاكر. أحمد، ط١، مكتبة الحلبي- مصر، ١٩٤٠م.

٣٦. تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: الفران. أحمد بن مصطفى، ط١، دار التدمرية، ٢٠٠٦م.

- الشبستري. محمد مجتهد

٣٧. مدخل إلى علم الكلام الجديد، ط١، دار الهادي- بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٨. هرمنيوطيقا القرآن والسنة، ترجمة القبانجي. أحمد، ط١، الانتشار العربي- بيروت، ٢٠١٣م.

٣٩. الشتيوي. محمد، التغير الدلالي وأثره في فهم النص القرآني، ط١، مكتبة حسن العصرية- بيروت، ٢٠١١م.

٤٠. الصغير. محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ط١، دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٠م.

٤١. صابر. خالد محمد، أثر اختلاف القراءات القرآنية في إثراء الدلالة، السعودية: مجلة العلوم العربية والإنسانية- جامعة القصيم، ٢٠١٦م.

٤٢. الطبري. محمد بن جرير الطبري. تحقيق: التركي. عبد الله بن عبد المحسن بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

٤٣. الطلحي. ردة الله بن ردة ضيف الله، دلالة السياق، ط١، جامعة أم القرى – السعودية، ١٤٢٤م.

٤٤. الطيار. مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، ط٢، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

٤٥. عبد الكريم. ساجدة، "أثر الصوت في توجيه الدلالة دراسة أسلوبية صوتية"، كلية العلوم الإنسانية. جامعة تكريت- العراق، ٢٠١٠م.

٤٦. عكريش. حسن، "أثر تطور اللغة في القرآن الكريم"، ٢٠١٤م، (لا يتوفر معلومات عن المجلة في المقال).

٤٧. علواش. محمد، السقوط الحداثي نقد المنهج في التعامل مع النص القرآني، ط١، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٩م.

٤٨. العنزي. سعد بن مقبل، دلالة السياق وأثرها في تفسير النص الشرعي دراسة أصولية، ط٢، دار طيبة الخضراء، ٢٠٢٠م.

٤٩. قدوري. غانم الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط١، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ١٤٠٢هـ.

- القرني. خالد بن محمد

٥٠. "علم الكلام الجديد بين دعوى التجديد والعلمانية: المدرستان الهندية والإيرانية نموذجاً"، اليمن: مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية. جامعة تعز فرع تربه، ٢٠٢٠م.

٥١. "القراءة التأويلية لدى نصر حامد أبو زيد"، ط١، السعودية: جامعة القصيم: الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة، ١٤٣٥هـ.

٥٢. الكحلة. عبد الوهاب محمود، "أثر الصوت في رسم الكلمة نظرة تعليلية في ضوء المصحف"، مجلة آداب الرافدين، ٢٠١٣م.

٥٣. المطيري. عبد الرحمن بن عبد الله، السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، ط١، جامعة أم القرى: رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين، ٢٠٠٨م.

٥٤. مجمع اللغة العربية. المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م.

٥٥. هوندرتش. تد، دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، د.ت.